

التعليل  
في القرآن الكريم  
من سورة البقرة

من تفسير  
فضيلة الشيخ العلامة  
محمد بن صالح العثيمين  
رحمه الله تعالى

جمع  
مساعدة بن عبدالله السلطان

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم) (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ(٢)

٢٩/١ - ومن الفوائد : أن المهتدي بهذا القرآن هم المتقون؛ فكل من كان أتقى لله كان أقوى اهتداءً بالقرآن الكريم؛ لأنه عُلّق الهدى بوصف؛ والحكم إذا عُلّق بوصف كانت قوة الحكم بحسب ذلك الوصف المعلّق عليه؛ **لأن الوصف عبارة عن علة؛** وكلما قويت العلة قوي المعلول..

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (البقرة: ٦)  
خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ  
(٧)

٣٧/١ - وقوله تعالى: {لا يؤمنون} : هذا محط الفائدة في نفي التساوي. أي إنهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون؛ **وتعليل ذلك قوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم)** و"الختم": الطبع؛ و"الطبع" هو أن الإنسان إذا أغلق شيئاً ختم عليه من أجل ألا يخرج منه شيء، ولا يدخل إليه شيء؛ وهكذا فهو لاء. والعياذ بالله. قلوبهم مختوم عليها لا يصدر منها خير، ولا يصل إليها خير..

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٢١)

٧٣/١ - قوله تعالى: {العلمك تتقون} ؛ "لعل" هنا للتعليل. **أي اتصلوا إلى التقوى؛** ومعلوم أن التقوى مرتبة عالية، حتى قال الله عزّ وجلّ في الجنة: { أعدت للمتقين} [آل عمران: ١٣٣] ، وقال تعالى: {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} [النحل: ١٢٨] ، وقال تعالى: {واعلموا أن الله مع المتقين}

[البقرة: ١٩٤] ..

٧٤/١ - ومن فوائد الآية : أن من طريق القرآن أنه إذا ذكر الحكم غالباً ذكر العلة؛ الحكم: {اعبدوا ربكم} ؛ **والعلة: كونه رباً خالقاً لنا، ولمن قبلنا..**

( إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ) (٢٦)

٩٧/١ - قوله تعالى: {يضل به كثيراً} : **الجملة استئنافية لبيان الحكمة من ضرب المثل بالشيء الحقير** ؛ ولهذا ينبغي الوقوف على قوله تعالى: {ماذا أراد الله بهذا مثلاً} ؛ و {يضل به} أي بالمثل؛ {كثيراً} أي من الناس؛ {ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين} أي الخارجين عن طاعة الله ..

١٠١/١ - ومن فوائد الآية: أن إضلال من ضل ليس لمجرد المشيئة؛ **بل لوجود العلة التي كانت سبباً في إضلال الله العبد**؛ لقوله تعالى: {وما يضل به إلا الفاسقين} ؛ وهذا كقوله تعالى: {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين} (الصف: ٥) ..

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٢٩)

١٠٩/١ - قوله تعالى: {هو الذي خلق لكم} أي أوجد عن علم وتقدير على ما اقتضته حكمته جلّ وعلا، وعلمه؛ و {لكم} : اللام هنا لها معنيان؛ المعنى الأول: الإباحة، كما تقول: "أبحت لك"؛ والمعنى الثاني: **التعليل: أي خلق لأجلكم..**

( فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(٣٧) )

١٣٤/١ - قوله تعالى: {إنه هو التواب الرحيم} : **هذه الجملة تعليل لقوله تعالى:** **{فتاب عليه}** ؛ لأن التوبة مقتضى هذين الاسمين العظيمين: {التواب الرحيم} ؛ و {هو} ضمير فصل يفيد هنا الحصر، والتوكيد؛ و {التواب} صيغة مبالغة من "تاب"؛ وذلك لكثرة التائبين، وكثرة توبة الله؛ ولذلك سمى الله نفسه "التواب"؛ و {الرحيم} أي ذو الرحمة الواسعة الواصلة إلى من شاء من عباده..

( وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ )  
البقرة: (٥١)) **ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (٥٢)

١ / ١٨١ - قوله تعالى: {لعلكم تشكرون} ، "لعل" هنا للتعليل؛ و {تشكرون} **أي تشكرون الله على نعمه**؛ والشكر يكون بالقلب؛ وهو إيمان القلب بأن النعمة من الله عزّ وجلّ، وأن له المنّة في ذلك؛ ويكون باللسان؛ وهو التحدث بنعمة الله اعترافاً. لا افتخاراً؛ ويكون بالجوارح؛ وهو القيام بطاعة المنعم؛ وفي ذلك يقول الشاعر:.

أفادتكم النعماء مني ثلاثة \*\*\* يدي ولساني والضمير المحجبا

( وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ) (٥٣)

١ / ١٨٣ - قوله تعالى: {لعلكم تهتدون} : "لعل" للتعليل؛ **أي لعلكم تهتدون بهذا الكتاب الذي هو الفرقان**؛ لأن الفرقان هدى يهتدي به المرء من الضلالة؛ و {تهتدون} أي هداية العلم، والتوفيق؛ فهو نازل للهداية؛ ولكن من الناس من يهتدي، ومنهم من لا يهتدي..

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤))

١٨٨/١ - قوله تعالى: {إنه هو التواب الرحيم}: **هذه الجملة تعليل لما قبلها؛** و {هو} ضمير فصل؛ وسبق بيان فوائده؛ و {التواب} أي كثير التوبة: لكثرة توبته على العبد الواحد، وكثرة توبته على التائبين الذين لا يحصيهم إلا الله، فهو يتوب في المرات المتعددة على عبده، ويتوب على الأشخاص الكثيرين الذين تكثرت توبتهم؛ و {الرحيم} أي ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء

..

( وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ) (البقرة: ٥٥) (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٥٦)

١٩٣/١ - وقوله تعالى: {بعثناكم من بعد موتكم}: هذه نعمة كبيرة عليهم أن الله تعالى أخذهم بهذه العقوبة، ثم بعثهم ليرتدعوا؛ ويكون كفارة لهم؛ ولهذا قال تعالى: {لعلكم تشكرون} أي تشكرون الله سبحانه وتعالى؛ و **"لعل" هنا للتعليل..**

١٩٥/١ - ومن فوائد الآيتين: إثبات الحكمة لله تعالى: لقوله: {لعلكم تشكرون}؛ **فإن "لعل" هنا للتعليل المفيد للحكمة..**

( وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ) (٦١)

٢٢٠/١ - ومن فوائد الآية : بيان حكمة الله عزّ وجلّ حيث ربط الأشياء بأسبابها؛ **لقوله تعالى: {ذلك بأنهم}** ، وقوله تعالى: {ذلك بما عصوا} ؛ وهذا من الحكمة أن يكون للأسباب تأثيراً في مسبباتها بما جعله الله رابطاً بين الأسباب والمسببات، ولكن الأسباب قد يكون لها موانع؛ فقد توجد الأسباب، ولكن توجد موانع أقوى منها؛ فالنار لم تحرق إبراهيم صلى الله عليه وسلم. مع أنها سبب للإحراق. لوجود مانع؛ وهو قول الله تعالى لها: {كوني برداً وسلاماً على إبراهيم} [الأنبياء: ٦٩] ..

**(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٦٤)**

٢٢٥/١ - قوله تعالى: {لعلكم تتقون} : "لعل" للتعليل؛ **أي لأجل أن تتقوا الله عزّ وجلّ**؛ فالأخذ بهذا الميثاق الذي آتاهم الله على وجه القوة، وذكر ما فيه وتطبيقه يوجب التقوى؛ لأن الطاعات يجر بعضها بعضاً، كما قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} [البقرة: ١٨٣] ؛ فالطاعات يجر بعضها بعضاً، لأن الطاعة إذا ذاق الإنسان طعمها نشط، وابتغى طاعة أخرى، ويتغذى قلبه؛ وكلما تغذى من هذه الطاعة رغب في طاعة أخرى؛ وبالعكس المعاصي: فإنها توجب وحشة بين العبد وبين الله عزّ وجلّ، ونفوراً، والمعاصي يجر بعضها بعضاً؛ وسبق قوله تعالى: {ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون} [البقرة: ٦١]

٢٢٧/١ - ومن فوائد الآية : أن الأخذ بالكتاب المنزّل يوجب التقوى؛ لقوله تعالى: **{لعلكم تتقون} أي لأجل أن تكونوا من المتقين لله عزّ وجلّ..**

**(فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (**

٢٤٠/١ - قوله تعالى: {علكم تعقلون} ؛ "لعل" للتعليل؛ **أي لأجل أن تعقلوا عن الله.**  
**تبارك وتعالى. آياته، وتفهموها؛** والعقل هو ما يحجز الإنسان عن فعل ما لا  
 ينبغي؛ وهو خلاف الذكاء؛ فالذكاء هو سرعة البديهة، والفهم؛ وقد يكون  
 الإنسان ذكياً، ولكنه ليس بعاقل..

{قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ  
 وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (البقرة: ٩٧) {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ  
 وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} (البقرة: ٩٨)

٣١٦/١ - قوله تعالى: {فإن الله عدو للكافرين} : هذا جواب الشرط: من كان  
 عدواً لله فالله عدو له؛ ومن كان عدواً للملائكة فإن الله عدو له؛ ومن كان  
 عدواً لرسله فإن الله عدو له؛ ومن كان عدواً لجبريل فإن الله عدو له؛ ومن  
 كان عدواً لميكائيل فإن الله عدو له؛ وهنا أظهر في موضع الإضمار  
 لفائدتين؛ إحداهما: لفظية؛ والثانية: معنوية؛ أما الفائدة اللفظية: فمناسبة  
 رؤوس الآي؛ وأما الفائدة المعنوية فهي تتضمن ثلاثة أمور: الأول: الحكم  
 على أن من كان عدواً لله ومن دُكر، بأنه يكون كافراً؛ يعني: الحكم على  
 هؤلاء بالكفر؛ الثاني: أن كل كافر سواء كان سبب كفره معاداة الله، أو لا،  
 فالله عدو له، ثالث: **بيان العلة. وهي في هذه الآية: الكفر..**

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا  
 نَصِيرٍ} (١٠٧)

٣٥٢/١ - ومن فوائد الآية : أن من ملك الله أنه ينسخ ما يشاء، ويثبت؛ فكان  
 قوله تعالى: {ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض} **تعليل لقوله تعالى: {**  
**ما ننسخ من آية} ؛ فالملك للسموات والأرض يتصرف فيهما كما شاء..**

( وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (١٢٧)

٥٨/٢ - قوله تعالى: {إنك أنت السميع العليم} : **هذه الجملة تعليل لطلب القبول؛** يعني: نسألك أن تقبل لأنك أنت السميع العليم: تسمع أقوالنا، وتعلم أحوالنا .

( رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ) (١٢٨)

٦٥/٢- ومنها: مشروعية التوسل إلى الله عزّ وجلّ بأسمائه، وصفاته؛ لأن قوله تعالى: {إنك أنت التواب الرحيم} **تعليل للطلب السابق؛** فهو وسيلة يتوصل بها الداعي إلى حصول مطلوبه.

( إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) (١٣١)

٧٣/٢ - ومنها: المناسبة بين قوله تعالى: {أسلمت} ، و {رب} ؛ **كأن هذا علة لقوله تعالى: {أسلمت} ؛** فإن الرب هو الذي يستحق أن يُسلم له؛ الرب: الخالق؛ ولهذا أنكر الله سبحانه وتعالى عبادة الأصنام، **وبيّن علة ذلك بأنهم لا يخلقون؛** قال تعالى: {والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون \* أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون} [النحل: ٢٠، ٢١] ؛ فتبين بهذا مناسبة ذكر الإسلام مقروناً بالربوبية.

( سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) (١٤٢)

١٠٧/٢ - ومن فوائد الآية : **جواز تعليل الأحكام الشرعية بمقتضى الربوبية** لإسكات الناس حتى لا يحصل منازعة؛ إذا قال أحد: لماذا كذا؟ قلت: الله ربك يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد؛ «لماذا أحل كذا، وحرّم كذا؟» تقول: لأنه ربك؛ «لماذا توجه الناس من المشرق إلى المغرب؛ من المغرب إلى المشرق؛ من بيت المقدس إلى الكعبة؟» قلت: لأن ذلك بمقتضى ربوبية الله: {لله المشرق والمغرب} .

( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ) (١٤٣)

١٠٩/٢ - قوله تعالى: {لتكونوا شهداء على الناس} ؛ **اللام في قوله: {لتكونوا}** **للتعليل**؛ وليست للعاقبة؛ والفرق بين لام العاقبة، ولام التعليل: أن لام العاقبة تدخل على أمر غير مراد؛ لكن النتيجة آلت إليه؛ ولام التعليل تدخل على أمر مراد ليكون علة للحكم؛ و {شهداء} جمع شهيد؛ أي تشهدون على الناس بأن الرسل قد بلغتهم؛ فمنهم من آمن، ومنهم من كفر.

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (١٥٠)

١٥٧/٢ - وقوله تعالى: {ولعلكم تهتدون} ؛ «لعل» هنا للتعليل؛ أي: تكتسبون علماً، وعملاً؛ وهذه هي العلة الثالثة؛ **العلة الأولى**: {لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم} ؛ **والعلة الثانية**: {ولأتم نعمتي عليكم **والعلة الثالثة**: {ولعلكم تهتدون} ؛ وسيأتي بيان أنواع الهداية.

١٦٠/٢ - ومن فوائد الآية : إثبات الحكمة في أفعال الله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: **{ولعلمكم تهتدون}** .

**{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}** (١٥١)

١٦٤/٢ - ومن فوائد الآية : **اشتمال الشريعة على الحكمة**؛ لقوله تعالى: { ويعلمكم الكتاب والحكمة} ؛ فالشريعة متضمنة للحكمة تضمناً كاملاً؛ فما من شيء من مأموراتها، ولا منهياتها، إلا وهو مشتمل على الحكمة؛ لكن هنا حكمة لازمة لكل حكم؛ وهو طاعة الله ورسوله؛ فإن هذه أعظم حكمة؛ وهي ثابتة فيما نعقل حكمته، وفيما لا نعقلها؛ ولهذا لما قالت المرأة لعائشة رضي الله عنها: «ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة» ؛ فبينت الحكمة من ذلك؛ وهو طاعة الله، ورسوله؛ وهذه حكمة لازمة في كل حكم سواء عقل معناه، أو لم يُعقل.

**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}** (١٦٨)

٢٣٤/٢ - قوله تعالى: {إنه لكم عدو مبين} ؛ **محل هذه الجملة استثنائية تعليل لما قبلها**؛ والعدو ضد الصديق؛ وإن شئت فقل: ضد الولي؛ لقوله تعالى: {لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء} ؛ وقد حده الفقهاء - رحمهم الله - بقولهم: من سره مساءة شخص؛ أو غمه فرحه فهو عدو؛ فالعدو من يحزن لفرحك، ويُسرّ لحزنك.

٢٣٦/٢ - ومن فوائد الآية : ظهور بلاغة القرآن؛ وذلك لقرن الحكم بعلته؛ **فإن**

**قرن الحكم بعلته له فوائد؛** منها معرفة الحكمة؛ ومنها زيادة طمأنينة المخاطب؛ ومنها تقوية الحكم؛ ومنها عموم الحكم بعموم العلة — يعني القياس —؛ مثاله قوله تعالى: {قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس} [الأنعام: ١٤٥] ؛ فإن مقتضى هذا التعليل أن كل ما كان نجساً فهو محرم.

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١٧٣)

٢٥٢/٢ - قوله تعالى: {إن الله غفور رحيم} ؛ هذا تعليل للحكم؛ فالحكم انتفاء الإثم؛ **والعلة: {إن الله غفور رحيم} .**

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (١٧٦)

٢٧٢/٢ - من فوائد الآية: **إثبات العلل**، والأسباب؛ لقوله تعالى: {ذلك بأن} ؛ والباء للسببية؛ وقد ذكر بعض أهل العلم أن في القرآن أكثر من مائة موضع كلها تفيد إثبات العلة؛ خلافاً للجبرية — الذين يقولون: «إن فعل الله عز وجل ليس لحكمة؛ بل لمجرد المشيئة» .

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١٧٩)

٣٠٤/٢ - قوله تعالى: {لعلكم تتقون} ؛ «لعل» للتعليل؛ والمعْلُ ثبوت القصاص؛ يعني: أوجبنا القصاص، **وكتبناه عليكم من أجل أن تتقوا العدوان بالقتل**؛ فإن الإنسان إذا علم أنه مقتول بالقتل سيتقي القتل بلا شك.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)

٣١٣/٢ - قوله تعالى: {إن الله غفور رحيم} **جملة تعليلية للحكم**؛ وقد سبق الكلام على هذين الاسمين الكريمين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)

٣١٧/٢ - قوله تعالى: {لعلكم تتقون} ؛ «لعل» للتعليل؛ ففيها بيان الحكمة من فرض الصوم؛ **أي تتقون الله عز وجل**؛ هذه هي الحكمة الشرعية التعبدية للصوم؛ وما جاء سوى ذلك من مصالح بدنية، أو مصالح اجتماعية، فإنها تبع.

٣١٨/٢ - ومن فوائد الآية : الحكمة في إيجاب الصيام؛ **وهي تقوى الله**؛ لقوله تعالى: {لعلكم تتقون} .

أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)

٣٢١/٢ - وقوله تعالى: {فمن كان منكم مريضاً} يعني مرضاً يشق به الصوم؛ أو يتأخر به البرء؛ أو يفوت به العلاج، كما لو قال له الطبيب: خذ حبوباً كل أربع ساعات، وما أشبه ذلك؛ **ودليل التخصيص بمرض يشق به الصوم ما يفهم من العلة.**

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ)

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ  
آخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى  
مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)

٣٣٥/٢ - قوله تعالى: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} **تعليل لقوله**  
**تعالى:** {ومن كان مريضاً أو على سفرٍ} إلخ ؛ و {يريد} أي يحب؛ فالإرادة  
شرعية؛ والمعنى: يحب لكم اليسر؛ وليست الإرادة الكونية؛ لأن الله سبحانه  
وتعالى لو أراد بنا اليسر كوناً ما تعسرت الأمور على أحد أبداً؛ فتعين أن  
يكون المراد بالإرادة هنا الشرعية؛ ولهذا لا تجد - والحمد لله - في هذه  
الشيعة عسراً أبداً.

وقوله تعالى: {ولعلكم تشكرون} أي تقومون بشكر الله عز وجل؛ و **«لعل»**  
**هنا للتعليل؛** و {تشكرون} على أمور أربعة؛ إرادة الله بنا اليسر؛ عدم إرادته  
العسر؛ إكمال العدة؛ التكبير على ما هدانا؛ هذه الأمور كلها نَعَم تحتاج منا أن  
نشكر الله عز وجل عليها؛ ولهذا قال تعالى: {ولعلكم تشكرون} .

وقوله تعالى: {ولتكملوا العدة} ؛ الواو عاطفة؛ **واللام لام التعليل؛** لأنها  
مكسورة؛ ويكون العطف على قوله تعالى: {اليسر} ؛ يعني يريد الله سبحانه  
وتعالى بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر؛ ويريد لتكملوا العدة؛ و «أراد» إذا  
تعدت باللام فإن اللام تكون زائدة من حيث المعنى؛ لكن لها فائدة؛ وذلك؛  
لأن الفعل «أراد» يتعدى بنفسه، كقوله تعالى: {والله يريد أن يتوب عليكم} [النساء: ٢٧] ؛  
وهنا: {لتكملوا العدة} يعني: وأن تكملوا العدة؛ أي: ويريد الله  
منا شرعاً أن نكمل العدة.

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا  
لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (١٨٦)

٣٤٣/٢ - قوله تعالى: {لعلهم يرشدون} ؛ **«لعل» للتعليل؛** وكلما جاءت **«لعل»**

**في كتاب الله فإنها للتعليل؛** إذ إن الترجي لا يكون إلا فيمن احتاج، ويؤمل كشف ما نزل به عن قرب؛ أما الرب عز وجل فإنه يستحيل في حقه هذا.

(أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (١٨٧)

٣٤٦/٢ - قوله تعالى: {أحل لكم} أي أحل الله لكم؛ ونائب الفاعل فيه: {الرفث إلى نساءكم}؛ و {الرفث} هو الجماع، والإفشاء؛ والمراد بـ {ليلة الصيام} جميع ليالي رمضان؛ {هن لباس لكم وأنتم لباس لهن} : **الجملة استئنافية للتعليل** — أي تعليل حل الرفث إلى النساء ليلة الصيام — لأن الزوج لا يستغني عن زوجه فهو لها بمنزلة اللباس؛ وكذلك هي له بمنزلة اللباس؛ وعبر سبحانه باللباس لما فيه من ستر العورة، والحماية، والصيانة؛ وإلى هذا يشير قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج» **ثم بين الله عز وجل حكمة أخرى موجبة لهذا الحل؛** وهي قوله تعالى: {علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم} أي تخادعونها بإتيانهن، بحيث لا تصبرون؛ والظاهر — والله أعلم — أن هذا الاختيان يكون الإنسان يفتي نفسه بأن هذا الأمر هين؛ أو بأنه صار في حال لا تحرم عليه زوجته؛ وما أشبه ذلك؛ وأصل هذا أنهم كانوا في أول الأمر إذا صلى أحدهم العشاء الآخرة، أو إذا نام قبل العشاء الآخرة فإنه يحرم عليه الاستمتاع بالمرأة والأكل والشرب إلى غروب الشمس من اليوم التالي؛ فشق عليهم ذلك مشقة عظيمة حتى إن بعضهم لم يصبر؛ فبين الله عز وجل حكمته، ورحمته بنا، حيث أحل لنا هذا الأمر؛ ولهذا قال تعالى: {علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم} .

٣٥٠/٢ - قوله تعالى: {لعلهم يتقون} ؛ «لعل» **للتعليل**؛ أي يتقون الله عز وجل وتقوى الله سبحانه وتعالى هي اتخاذ وقاية من عذابه بفعل أوامره، واجتناب نواهيه؛ وهذا أجمع ما قيل في «التقوى» .

٣٥١/٢ - ومن فوائد الآية : **إثبات العلة في الأحكام**؛ لقوله تعالى: {هن لباس لكم} ؛ لأن هذه الجملة لتعليل التحليل.

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (١٩٠)

٣٧١/٢ - قوله تعالى: {لعلكم تفلحون} ؛ «لعل» **للتعليل**؛ **أي لأجل أن تنالوا الفلاح**؛ و «الفلاح» هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب.

٣٧٤/٢ - قوله تعالى: {إن الله لا يحب المعتدين} : **الجملة هنا تعليل للحكم**؛ والحكم: النهي عن الاعتداء.

٣٧٥/٢ - ومن فوائد الآية : **حسن تعليم الله عز وجل، حيث يقرن الحكم بالحكمة**؛ لقوله تعالى: {ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} ؛ وقد سبق ذكر فوائد قرن الحكم بالعلة.

(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (١٩٥)

٣٨٩/٢ - قوله تعالى: {إن الله يحب المحسنين} **تعليل للأمر بالإحسان**؛ ولو لم يكن من الإحسان إلا هذا لكان كافياً للمؤمن أن يقوم بالإحسان.

(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَقاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ) ( )

٤٢٣/٢ - قوله تعالى: (واذكروه كما هداكم) ؛ أمر بالذكر مرة أخرى؛ لكن لأجل التعليل الذي بعده — وهو الهداية —؛ **لهذا الكاف هنا للتعليل**؛ و «ما» مصدرية تسبك، وما بعدها بمصدر؛ فيكون التقدير: واذكروه لهدايتكم؛ والكاف تأتي للتعليل، كما قال ابن مالك في الألفية:

{شبه بكاف وبها التعليل قد يعنى وزائداً لتوكيد ورد) ومن ذلك قوله تعالى: { كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ... } [البقرة: ١٥١] الآية؛ وكما في التشهد في قوله: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم ... » ، أي لأنك صليت على إبراهيم فصل على محمد؛ فهو توسل إلى الله تعالى بفعل سبق منه نظير ما سألته.

ويحتمل أن تكون الكاف للتشبيه؛ وعليه فيكون الأمر بذكره ثانية عائداً على الوصف — أي اذكروه على الصفة التي هداكم إليها — أي على حسب ما شرع؛ وعليه فلا تكرار؛ لأن الأمر بالذكر أولاً أمر بمطلق الذكر، والأمر به ثانية أمر بكونه على الصفة التي هداكم إليها.

**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩)**

٤٢٨/٢ - قوله تعالى: {إن الله غفور رحيم} ؛ **هذه الجملة تعليل للأمر**؛ أي استغفروا الله؛ لأنه أهل لأن يُستغفر؛ فإنه سبحانه وتعالى غفور رحيم.

**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (٢٠٨)**

٩/٣- ومن فوائد الآية : قرن الحكم بعلته؛ لقوله تعالى: {لا تتبعوا خطوات الشيطان} **ثم علل: {إنه لكم عدو مبين} .**

ويتفرع على هذه الفائدة: أنه ينبغي لمن أتى بالأحكام أن يقرنها بالعلل التي تطمئن إليها النفس؛ فإن كانت ذات دليل من الشرع قرنها بدليل من الشرع؛ وإن كانت ذات دليل من العقل، والقياس قرنها بدليل من العقل، والقياس؛ وفائدة ذكر العلة أنه يبين سمو الشريعة وكمالها؛ وأنه تزيد به الطمأنينة إلى الحكم؛ وأنه يمكن إلحاق ما وافق الحكم في تلك العلة.

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢١٣)

٣٢/٣- ومن فوائد الآية : الحكمة في إرسال الرسل؛ وهي التبشير، والإنذار؛ لقوله تعالى: {فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين} .

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢١٧)

٥٨/٣- ومن فوائد الآية: تقديم ما يفيد العلية؛ لقوله تعالى: {عن الشهر الحرام قتال فيه} ؛ المسؤول عنه القتال في الشهر الحرام؛ لكنه قدم الشهر الحرام؛ **لأنه العلة في تحريم القتال؛** ومن ذلك قوله تعالى: {ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن} [البقرة:

[٢٢٢] ؛ **فقدم العلة على الحكم لتتنفر النفوس من الفعل قبل الحكم به؛ فيقع الحكم وقد تهيأت النفوس للاستعداد له، وقبوله.**

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَاعْتَنَقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢٢٠)

٧٠/٣ - قوله تعالى: {العلمك تتفكرون} ؛ «التفكر» إعمال الفكر للوصول إلى الغاية؛ و «لعل» **للتعليل**؛ واسمها: الكاف؛ وخبرها: جملة: {تتفكرون}

٧٣/٣ - قوله تعالى: {إن الله عزيز حكيم} **هذه الجملة تعليل لما سبق** من قوله تعالى: {ولو شاء الله لأعنتكم كأنه قال: ولو شاء الله لأعنتكم؛ لأن له العزة، والحكم؛ و «العزيز» ، و «الحكيم» اسمان من أسماء الله تقدم معناهما، وأنواعهما.

٧٤/٣ - ومن فوائد الآية : إثبات الحكمة في أفعال الله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: **{العلمك تتفكرون}** .

(وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجَبْنَ بِكُمْ وَلَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا تُعْجَبْكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (٢٢١)

٧٦/٣ - قوله تعالى: {ولأمة مؤمنة} أي امرأة مؤمنة {خير من مشركة ولو أعجبتكم} ؛ **هذه الجملة تعليل للنهي عن نكاح المشركات** مؤكدة بلام الابتداء؛ وقوله تعالى: {خير من مشركة} : أطلق الخيرية ليعم كل ما كان مطلوباً في

المرأة؛ {ولو أعجبتكم} أي سرتكم، ونالت إعجابكم في جمالها، وخلقها، ومالها، وحسبها، وغير ذلك من دواعي الإعجاب.

فإن قيل: كيف جاءت الآية بلفظ: {خير من مشركة} مع أن المشركة لا خير فيها؟ فالجواب من أحد وجهين:

الأول: أنه قد يرد اسم التفضيل بين شيئين، ويراد به التفضيل المطلق - وإن لم يكن في جانب المفضل عليه شيء منه -، كما قال تعالى: {أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً} [الفرقان: ٢٤].

الثاني: أن المشركة قد يكون فيها خير حسي من جمال، ونحوه؛ ولذلك قال تعالى: {ولو أعجبتكم}؛ فبين سبحانه وتعالى أن ما قد يعتقده نكاح المشركة من خير فيها فإن نكاح المؤمنة خير منه.

قوله تعالى: {ولا تُنكحوا المشركين} بضم التاء؛ أي لا تزوجوهم؛ {حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم} سبق بيان ذلك عند قوله تعالى: {حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة}.

قوله تعالى: {أولئك يدعون إلى النار} **هذه الجملة تعليل لما سبق**؛ والمشار إليه فيها أهل الشرك - أي يدعون الناس إلى النار بأقوالهم، وأفعالهم، وأموالهم -؛ حتى إنهم يبنون المدارس، والمستشفيات، ويلاطفون الناس في معاملتهم خداعاً، ومكراً؛ ولكن قد بين الله نتيجة عملهم في قوله تعالى: {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون} [الأنفال: ٣٦]

٧٩/٣ - ومن فوائد الآية: أن الحكم يدور مع علته وجوداً، وعدمياً؛ **لقوله تعالى: {حتى يؤمن}**؛ فدل ذلك على أنه متى زال الشرك حل النكاح؛ ومتى وجد الشرك حرم النكاح.

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (٢٢٢)

٨٢/٣ - وقوله تعالى: {إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين}؛ **هذا تعليل لما سبق من الأوامر**؛ وهي اعتزال النساء في المحيض، وإتيانهن من حيث أمر الله بعد التطهر.

٨٣/٣ - ومن فوائد الآية: **تعليل الأحكام الشرعية**؛ لقوله تعالى: {هو أذى فاعتزلوا}.

ويتفرع على هذه الفائدة: إثبات الحكمة فيما شرعه الله عز وجل؛ لكن من الحكمة ما هو معلوم للخلق؛ ومنها ما ليس بمعلوم؛ لكننا نعلم أن جميع أحكام الله الشرعية والقدرية مقرونة بالحكمة.

٨٣/٣ - ومن فوائد الآية: **تقديم علة الحكم عليه** حتى تنتهي النفوس لقبول الحكم، والطمأنينة إليه؛ ويكون قبوله فطرياً؛ لقوله تعالى: {قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض}؛ وقد يتقدم الحكم على العلة - وهو الأكثر كما في قوله تعالى: {قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس} [الأنعام: ١٤٥]، وكما في الحديث الصحيح: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه».

(وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٢٣١)

١٣٣/٣- ومن فوائد الآية: أن شريعة الله عزّ وجلّ **كلها حكمة**؛ لقوله تعالى: { وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة} .

ويتفرع على هذه الفائدة فائدة أخرى: وهي أنه لا حاجة إلى أن نتعب أنفسنا في طلب الحكمة، أو أن نتمحل حكمة بعيدة قد تكون مرادة لله، أو غير مرادة؛ لأننا نعلم أن كل ما شرعه الله فهو لحكمة؛ ومن الحكمة امتحان العبد بالامتثال فيما لا يعلم حكمته؛ ولهذا لما سئلت عائشة - رضي الله عنها - : ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: «كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نقضي الصلاة» ؛ فجعلت الحكمة أمر الله، ورسوله؛ أما السؤال عن الحكمة من باب الاسترشاد فإن هذا لا بأس به؛ ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن حكمة بعض الأشياء، كما في ... قوله تعالى: {يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج} [البقرة: ١٨٩] ؛ والسؤال على هذا الوجه من باب طلب العلم الذي يزداد به المؤمن إيماناً، وعلماً؛ وأما السؤال عن الحكمة بحيث لا يستسلم الإنسان للحكم، ولا ينقاد إلا بمعرفتها فهذا ضلال، واستكبار عن الحق، واتباع للهوى، وجعل الشريعة تابعة لا متبوعة.

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (٢٤٢)

١٩٢/٣ - قوله تعالى: {لعلكم تعقلون} ؛ «لعل» هنا للتعليل؛ **أي لتكونوا من ذوي العقول الرشيدة.**

١٩٣/٣- ومن فوائد الآية : **إثبات العلة لأفعال الله**؛ لقوله تعالى: {لعلكم تعقلون}

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) (٢٤٧)

٢١٥/٣- ومن فوائد الآية : أن المجيب يختار ما يكون به الإقناع بادئاً بالأهم فالأهم؛ لقول نبيهم في جوابه: { **إن الله اصطفاه عليكم ...** } الخ؛ فبدأ بذكر ما لا جدال فيه - وهو اصطفاء الله عليهم -؛ ثم ذكر بقية المؤهلات: وهي أن الله زاده بسطة في العلم، وتديير الأمة، والحروب، وغير ذلك، وأن الله زاده بسطة في الجسم: ويشمل القوة، والطول ... ؛ وأن الله عزّ وجلّ هو الذي يؤتي ملكه من يشاء، وفعله هذا لا بد وأن يكون مقروناً بالحكمة: فلولا أن الحكمة تقتضي أن يكون طالوت هو الملك ما أعطاه الله عزّ وجلّ الملك؛ وأن الله واسع عليم: فهو ذو الفضل الذي يمدّه إلى من يشاء من عباده؛ فله أن يتفضل على من يشاء؛ الله أعلم حيث يجعل رسالته؛ والله أعلم أيضاً حيث يجعل ولايته.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحِبِّي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحِبِّي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) (٢٥٨)

٢٨٦/٣- ومن فوائد الآية : أنه كلما كان الإنسان أظلم كان عن الهداية أبعد؛ لأن الله علق نفي الهداية بالظلم؛ **وتعليق الحكم بالظلم يدل على عليته**؛ وكلما قويت العلة قوي الحكم المعلق عليه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ  
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ  
وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الْكَافِرِينَ (٢٦٤)

٣١٨/٣ - قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا} : تصدير الخطاب بالنداء يدل على  
الاهتمام به؛ لأن النداء يحصل به تنبيه المخاطب؛ فيدل على العناية  
بموضوع الخطاب؛ ولهذا قال ابن مسعود: «إذا سمعت الله يقول: {يا أيها  
الذين آمنوا} فأرعاها سمعك: فإنه خير تأمر به؛ أو شر ينهى عنه» ؛ وصدق  
رضي الله عنه.

ثم في توجيه النداء للمؤمنين بوصف الإيمان فيه فوائد؛ الفائدة الأولى: الحث  
على قبول ما يلقي إليهم، وامتناله؛ وجه ذلك: **أنه إذا علق الحكم بوصف كان  
ذلك الوصف علة للتأثر به؛** كأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لإيمانكم افعلوا  
كذا، وكذا؛ أو لا تفعلوا كذا؛ الفائدة الثانية: أن ما ذكر يكون من مكملات  
الإيمان، ومقتضياته؛ الفائدة الثالثة: أن مخالفة ما ذكر نقص في الإيمان.

(أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ  
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ  
نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (٢٦٦)

٣٣٢/٣ - قوله تعالى: {لعلكم تتفكرون} : **«لعل» هنا للتعليل؛** و «التفكر»  
إعمال الفكر فيما يراد.

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا  
أُولُو الْأَلْبَابِ) (٢٦٩)

٣/٣٥٢- ومن فوائد الآية : إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى؛ لقوله تعالى: { من يشاء } ؛ **واعلم أن كل شيء علقه الله سبحانه وتعالى بمشيئته فإنه تابع لحكمته البالغة؛** وليس لمجرد المشيئة؛ لكن قد نعلم الحكمة؛ وقد لا نعلمها؛ قال الله تعالى: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً} [ الإنسان: ٣٠ ] .

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢٧٥)

٣/٣٧٦- ومن فوائد الآية: بيان علة قيام المرابين كقيام الذي يتخبطه الشيطان من المس؛ وهي: {أنهم قالوا إنما البيع مثل الربا} يعني: فإذا كان مثله فلا حرج علينا في طلبه.

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) (٢٧٩)

٣/٣٨٧- قوله تعالى: {فلكم رؤوس أموالكم} ؛ {رؤوس} جمع رأس؛ و « الرأس» هنا بمعنى الأصل؛ أي لكم أصول الأموال؛ وأما الربا فليس لكم، ثم **علل الله عز وجل هذا الحكم بقوله تعالى: {لا تظلمون} ؛ لأنكم لم تأخذوا الزيادة؛ {ولا تُظلمون} ؛ لأنها لم تنقص رؤوس أموالكم.**

٣/٣٨٨- ومن فوائد الآية : الإشارة إلى الحكمة من تحريم الربا - وهي **الظلم؛** لقوله تعالى: {لا تظلمون ولا تظلمون} .

فإن قال قائل: إن بعض صور الربا ليس فيه ظلم، مثل أن يشتري صاعاً من البر الجيد بصاعين من الرديء يساويانه في القيمة؛ فإنه لا ظلم في هذه

الصورة؛ قلنا: إن العلة إذا كانت منتشرة لا يمكن ضبطها فإن الحكم لا ينتقض بفقدها؛ ولهذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى إليه بتمر جيد فسأل: «من أين هذا؟ فقال بلال: تمر كان عندنا رديّ فبعت منه صاعين بصاع، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أوّه أوّه! عين الربا عين الربا لا تفعل»؛ ثم أرشدهم إلى أن يبيعوا التمر الرديء بالدرهم؛ ويشترخوا بالدرهم تمراً جيداً؛ فدل هذا على أن تخلف الظلم في بعض صور الربا لا يخرجها عن الحكم العام للربا؛ لأن هذه العلة منتشرة لا يمكن ضبطها؛ ولهذا أمثلة كثيرة؛ ودائماً نجد في كلام أهل العلم أن العلة إذا كانت منتشرة غير منضبطة فإن الحكم يعم، ولا ينظر للعلة.

(وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)  
(٢٨٠)

٣/٣٩٢- ومن فوائد الآية: **أن الحكم يدور مع علته وجوداً،** وهدماً؛ لأنه لما كان وجوب الإنظار معللاً بالإعسار صار مستمراً إلى أن تزول العلة - وهي العسرة - حتى تجوز مطالبته.

ولو أن الناس مشوا على تقوى الله عز وجل في هذا الباب لسلمت أحوال الناس من المشاكل؛ لكن نجد الغني يماطل: يأتيه صاحب الحق يقول: اقضني حقي؛ فيقول: غداً؛ ويأتيه غداً فيقول: بعد غد؛ وهكذا؛ وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مطل الغني ظلم»؛ ونجد أولئك القوم الأشحاء ذوي الطمع لا يُنظرون المعسر، ولا يرحمونه؛ يقول له: أعطني؛ وإلا فالحبس؛ ويحبس فعلاً - وإن كان لا يجوز حبسه إذا تيقنا أنه معسر، ولا مطالبته، ولا طلب الدين؛ بل يعزر الدائن إذا ألح عليه في الطلب وهو معسر؛ لأن طلبه مع الإعسار معصية؛ والتعزير عند أهل العلم واجب في كل معصية لا حدّ فيها، ولا كفارة.